الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

معركة القزويني في الأزهر :

هي معركة طريفة بين أستاذين من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، هما الشيخ عبد المتعال الصعيدي والشيخ محمد عبد المنعم خفاجي ، وتدور رحا المعركة على كتاب « الإيضاح » في علوم البلاغة للخطيب القزويني. وذلك أن الأستاذ الصعيدي شرحا لهذا الكتاب يتداوله الطلاب منذ سنين ، فجاء الأستاذ خفاجي ووضع له شرحا آخر أخذ طريقه أيضا إلى أيدي الطلاب، فأصدر الشارح الأول كتابا اسمه « تنوير الطلاب » نقد فيه مسلك الشارح الثاني في وإحراج الكتاب تعليقاته عليه ، وقال: إنه عنى بنقل عبارات الحواشي ومحاكاتها اللفظية بأسلوبها الذي لا يليق بعصرنا.. فهب الشارح الثاني يدفع الغارة عنها ، فأصدر نشرات تحمل عناوين مثل « بيني وبين الناقد العالمي البرو فسير الأستاذ الصعيدي » و « بيني وبين زعيم المجددين في البلاغة » وقد ذهب في هذه النشرات إلى أن الأستاذ الصعيدي حشى من منافسة شرحه الذي كان الميدان خاليا له من قبل . ومما قاله : « والطريف حقا أن ناقدنا الكبير يرى أن الإيضاح ملك له وأنه كان حجراً محجوراً على سواه أن يتناوله بالشرح والتعليق ، لأن عمل الناقد فيه معجزة الأجيال ولأنه قد فرضه على الطلاب المساكين فرضا وحمله إلهم في حقيبته صباح مساء »

وتتولد النشرات والحملات بين الأستاذين الجليلين، بعضها في التجريح الشخصي ، وبعضها في مسائل « العلم » من نحو إسناد بيت من الشواهد إلى غير قائله أو تحريف فيه أو توجيه القول « الصعب » ومما اختلفا عليه : هل مقدمة « الإيضاح » مقدمة كتاب أو مقدمة علم ! وكم في ذلك من نظر !

ويقول الأستاذ الصعيدي : « ويا ويل الأزهر في عصر الذرة إذا علم الناس أنه لا يزال يبحث في متعلقات الفعل ، ألامها مكسورة أم مفتوحة » فاذا يقول الناس إذن إذا علموا أن أساتذة الأزهر — في عصر الذرة — لا يزالون يستنفدون جهودهم في المراك على إيضاح القزويني؟ وليت الأستاذين الفاضلين يبذلا هذه الجهود في تأليف بلاغة أخرى غير بلاغة الايضاح ، تجدي على الطلاب في تنمية ملكاتهم الأدبية على النحو الوافق للعصر ، والاستاذ الصعيدي نفسه يرى ان تلك البحوث التي يحويها الايضاح وأمثاله محاكات لفظية وأنها لا تليق بعصر الذرة ، فلم إذن يشغل نفسه بشرحها والتعليق عليها والمراك من أجلها ؟

والعجيب أن يصنع الأستاذ ذلك وله نشاط معروف في الكتابة والتأليف ؛ ولكن يظهر أن المسئولين عن مناهج الدراسة في الأزهر هم المسئولون عن ذلك ، فإن التمسك بتلك الكتب جعل الأساتذة — حتى المنتج منهم — يدورون حولها ثم يتنازعون عليها ، وكان الأولى أن تصرف هذه الجهود في العمل المنشود لإحياء التأليف اللائم للعصر بالأزهر .

ويبدو لي أن تلك المعركة لا يفضها إلا أحد أمرين ، الأول أن تلغى دراسة الإيضاح من الكلية ، فيرفع « اللحاف » من بين المتنازعين عليه ، وبهذا تخلص العقول الجديدة من تنافره وتعقيده . الأمر الثاني أن تبلغ مجلتنا « الرسالة » إلى « قروين » حيث يعلم بالأمر أحد أحفاد الخطيب القزويني.. فيطالب بحقه في « الإيضاح » الذي ألفه جده الكبير ...

شكوى شاعرين من « الشاعر »

شكا إلي شاعران من مجلة « الشاعر » التي يصدرها الزميل الكريم الأستاذ محمد مصطفى المنفلوطي ، وهما الشاعر العراقي الأستاذ ابراهيم الوائلي والشاعر السوداني أبو القاسم عثمان . يقول الأول : « جاءني ذات يوم صديق شاعر وطلب مني أن أسهم في عدد خاص من مجلة اسمها « الشاعر » وقال لي : إن العدد الخاص سيكون عن الربيع ، فاستجبت لرغبة الصديق بقطعة عنوانها (ربيع النيل) . وجاءني العدد الخاص فإذا القصيدة قد حذف أجمل

ما فيها ، فتمزقت وحدتها .

وقال لي صاحبي : إن صاحب المجلة فعل ذلك لأن نصف الصفحة الذي خصص للقصيدة لم يتسع لها ، فكان الحذف والبتر »

ويشكو الثاني نفس الشكوى فيقول : إن قصيدته كانت ثلاثين بيتا أسقط منها أربعة ، لأن الصفحة لم تتسع لأكثر من ستة وعشرين ، ويقول : « ولما لم يكن هناك عذر في عدم نشر القصيدة كلها إلا ضيق المقام فإن ذلك عجيب من مجلة تحمل اسم (الشاعر) ذلك الاسم العظيم الذي لا يعرف الحدود ولا القيود »

وظاهر من كلام الصديقين الشاعرين أن المجلة عمدت إلى ذلك التصرف محافظة على نظام الصفحات .. ولا شك أن وقوع ذلك من مجلة خاصة بالشعر غريب ، فإن أعز ما يتمسك به الشاعر العصري هو تسلسل معانيه وارتباطها ، وإذا اقتضى بعض التنظيم الصحفي تحيف الموضوعات لتظهر الصفحات على نسق معين ، فإن ذلك لا ينبغي أن يكون في المجلات الأدبية التي يراعى فيها الموضوع قبل الشكل ولا إخال الأستاذ المنفلوطي — وهو الشاعر صاحب « الشاعر » — إلا ملاقيا عتاب زميليه الشاعرين وتعقيبنا بقبول حسن .

على أنني مع ذلك لا أخفي شغفي بالشاعرين فيما جرى لشعرهما الذي قالاه في هذا الربيع الزعوم في مصر . ولو لم تكن قصيدة الوائلي عنوانها « ربيع النيل » [illegible] بجمال الربيع في العراق ؛ أما أبو القاسم فلا أدري أين شاهد الربيع ، وليس في السودان ربيع غير الشتاء الدافىء ، فهناك الآن الحر اللافح ، كما أن هنا الآن في مصر تقلب الجو الذي حيرنا بين التخفيف والتثقيل ، ونالنا من شره قذى في العيون وبرد في الأجسام مختلف الألوان . وعلى رغم كل ذلك لا يزال إخواننا الشعراء في مصر مصرين على التغني بالربيع !

المسرح المدرسي :

أتيح لي في هذا العام أن أكون على مقربة من النشاط المسرحي في المدارس الثانوية بالقاهرة ، وأن أشهد الحفلات التي أقيمت لنيل كأس وزارة المعارف في المباراة المسرحية . وقد رأيت فرق المدارس تبذل غاية وسعها في هذا السبيل ، كما لمست الجهد الباور الذي تبذله مراقبة المسرح في الإشراف على هذا النشاط وتوجيهه ، وهو

كشكول الأسبوع

▫ احتفل يوم الجمعة الماضي في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الأول ، بتوزيع جوائز فؤاد الأول لسنة ١٩٥٠ ، وقد تحدث معالي وزير المعارف بالنيابة عن هذه الجوائز فقال إنها تمنح كل عام لصاحب أحسن انتاج في العلم والأدب والقانون في مدى خمس سنوات ، وأشار إلى أن جهود الباحثين والأدباء في مصر تزداد عاما بعد عام ، ثم أعلن قرار لجنة الجوائز الذي يقضي بتأجيل جائزتي الآداب والقانون إلى العام القادم ومنح الدكتور عبد السميع مصطفى والدكتور محمود الشيشيني بك جائزة العلوم مناصفة بينهما .

▫ جاء من باريس أن معالي الدكتور طه حسين بك افتتح كرسي محمد علي باشا الذي انشأته مصر في معهد الدراسات الثقافية لبلاد البحر الأبيض المتوسط في مدينة نيس بفرنسا فألقى محاضرة عن العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا منذ عهد محمد علي الكبير ، قال فيها إن محمد علي هو الذي انشأ لأول مرة هذه العلاقات ، ولذلك أطلق اسمه على هذا الكرسي .

▫ نشرت مكتبة النهضة المصرية أخيرا « تلخيص كتاب النفس » لابن رشد ، وقد ألحق به أربع رسائل هي رسالة الاتصال لابن الصايغ وكتاب النفس لابن حنين ورسالة الاتصال لابن رشد ورسالة العقل ليعقوب الكندي . حققها جميعا الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، وكتب مقدمة وافية مهد بها لفهم كتاب النفس لابن رشد الملخص عن أرسطو . والكتاب حلقة من السلسلة العلمية القيمة التي يخرجها الدكتور الأهواني .

▫ تنشر الأهرام في بعض الأيام كلمات بعنوان « حديث أختاه » وتوقيع « أختاه » أولا يعلم الكاتب أو الكاتبة أن « أختاه » لفظ منادى مثل « يا أختي » ؟ !

▫ لم تستطع اللجنة المؤلفة في الاذاعة للشئون الثقافية ، أن تبت في أي شأن من هذه الشئون لعدم وجود أي موظف مسئول عن « الثقافة » في الاذاعة . وقد لوحظ أن المتحدثين لم تصل إليهم مكافآتهم عن الأحاديث التي أذاعوها منذ أكثر من شهر .

▫ تقرر أن تعقد الدورة القادمة لحلقة الدراسات الاجتماعية للبلاد العربية بمصر في شهر نوفمبر القادم . وقد تلقت وزارة الشئون الاجتماعية مجموعة المحاضرات والتعليقات والبحوث التي ألقيت في دورة الحلقة الماضية ببيروت ، وستقوم بطبعها وتوزيعها على الدول العربية التي اشتركت في الحلقة وغيرها من الدول المعنية بتتبع تطورات الحركة الاجتماعية في مصر .

▫ « الجاسوسة الحسناء » يقرأ لها الناس في « المصور » منذ أكثر من عشرين سنة ، فلا بد أنها قد أصبحت الآن « جاسوسة عجفاء »

جهد مثمر ولكنه محدود وقليل الوسائل .

وقد اختير للمباراة فى هذا العام مسرحية « عزة بنت الخليفة » للمرحوم ابراهيم بك رمزى ، وهى رواية تاريخية تقع حادثتها بمصر فى عهد الخليفة الحافظ من الخلفاء الفاطميين ، ولا يقصد منها وقائع ولا حقائق تاريخية وإنما هى قصة تحليلية إنسانية تدور حول عزة بنت الخليفة التى فقدت بصرها وهى صغيرة ، ويحبها أمير من الشام إذ يرى بمالها وبمالة نفسها . ولا يتسنى لحبه أن يعلم أنها ضريرة ، وفى القصة أيضا عاطفة الأب الذى يحنو على ابنته ويبتئس لفقد بصرها ويعمل جاهدا على إرجاعه إلى عينيها . وقد لاحظت أن الطلبة لم يبلغوا الشأو المطلوب فى المسرحية لأنه يحتاج إلى أكثر من شباب يتمرن ، كما لاحظت أنهم — على وجه العموم — لا يجيدون فى الروايات التاريخية مثلما يجيدون فى الروايات العصرية ، فقد قدمت الفرق المدرسية إلى جانب تلك الرواية مسرحيات أخرى مختلفة . وذلك يرجع فيما أرى إلى ضعف التحصيل التاريخى مما يصعب عليهم معه الاندماج فى بيئة الرواية ويرجع كذلك إلى ضعفهم أيضا فى النطق العربى وقلة مرانهم على الإلقاء الفصيح .

وكثير من نظار المدارس يتخذون من هذه الحفلات مجالا للاعلان عن أنفسهم ، فيزحون البرنامج بالخطب ، فإما أن يخطب الناظر معددا مفاخره .. فى إدارة نواحى النشاط بالمدرسة ، وإما أن يشيد أحد المدرسين بهمة حضرة صاحب العزة ناظر المدرسة ! وقد عمدت إحدى المدارس إلى « إخراج فلم » يصور الناظر يستعرض (الطوابير) أو يتفقد المطعم ويفحص (الحلل ...) وهكذا ترى عين عزته على كل شىء فى المدرسة ... كما قال المدرس الذى كان يصاحب العرض بصوته .

ومهما يكن من شىء فهناك حقيقة مهمة ، وهى التربية المسرحية الفنية فى بيئات المدارس ، وهى الغاية التى يتجه إليها الأستاذ زكى طليمات مراقب المسرح فى وزارة المعارف ، فإنا نجد الطلبة مقبلين على هذا الفن بشوق ونشاط ، سواء فى ذلك المشتركون فى التمثيل والمشاهدون . وذلك يدل على طواعية هذا الجمهور التلقائى ، وصلاحيته للاستفادة من المسرح الذى هو مجمع للفنون المختلفة من أدب وتمثيل وتصوير وموسيقى وما تخلفه هذه الفنون من توجيه اجتماعى وثقافى وتربية وطنية وخلقية . ولا أحسب وزارة المعارف إلا مقتنعة بهذه الفوائد ، وخاصة فى عهد وزيرها الحالى الأديب الفنان . ولكن يبقى بعد ذلك أن نلاحظ أن ما تبذله من العناية فى هذا السبيل لا يساوى ولا يدانى ما ينشد من غايته ، وهو لذلك يقصر دونها ، فقد رأينا الفرق المدرسية يدربها المدربون الفنيون الأكفاء ، وهذا العدد القليل من خريجى معهد التمثيل لا يكفى ، على أنهم يعاملون بالمكافأة المادية القليلة ، وهم يعملون على هامش النظام المدرسى ، فليسوا موظفين دائمين ، بل تصرف لهم المدرسة مكافآتهم الزهيدة من مال النشاط المدرسى . فإهمال الدولة لهؤلاء الشبان الفنيين جزء من عدم عنايتها بالمسرح على وجه العموم . على أن كل ذلك الجهود المحدود قليل الوسائل إنما هو فى مدارس القاهرة ، أما بقية مدارس القطر فإن الاشراف الفنى على النشاط المسرحى يكاد يكون معدوما فيها وهذه الظاهرة المسرحية المدرسية توازى الظاهرة المسرحية العامة فليس فى مصر فرق تمثيلية يعتد بها فى غير القاهرة .

إننى أعتقد أن وزارة المعارف هى التى تستطيع أن تغذى أو تبعث النهضة المسرحية فى هذه البلاد ، وذلك بتربية الجيل الناشىء على تذوق الفن المسرحى وحبه ، وبإعداد المشتغلين بالفن من الشباب المتعلمين ، ولكنا نراها مع الأسف تسير فى ذلك سير السلحفاة ، والمظهر الجدى الوحيد لاهتمام الوزارة بالتمثيل هو معهد التمثيل العالى . أما مراقبة المسرح فهى مدمجة فى إدارة عامة أنشئت حديثا اسمها إدارة النشاط الاجتماعى والرياضى ، فكأن الوزارة بهذا الوضع تعتبر فن التمثيل أحد أنواع هذا النشاط الذى لم نر منه إلى الآن إلا رحلة فى الصيف إلى الاسكندرية ورحلة فى الشتاء إلى الأقصر ... وهذه الإدارة جديدة لا يزال موظفوها يكتبون المذكرات ويضعون الخطط ، ونحن نرجو لها التوفيق فى خدمة الشباب ، ولكن هذا كله غير فن التمثيل الذى توضحت معالمه وأرسى القائمون به قواعده .

عباس خضر